

المحاضرة الخامسة



الداء و الدواء

بشرح المهندس علاء حامد

المهاضي تدمرك
[أضرار الذنوب و المهاضي 3]



5م. المعاصي تدمرك [أضرار الذنوب والمعاصي] 3

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد:-

ما زلنا نتدارس الكتاب القيم للعلامة ابن القيم رحمة الله عليه كتاب **'الداء والدواء'**، بنحاول إن أحنا نستوعب أطروحة ابن القيم رحمة الله عليه لمعالجة مشكلة الذنوب والمعاصي خاصة فيما يتعلق بالذنوب المتعلقة بالشهوة والخلوات.

اتكلمنا آخر مرتين على أضرار الذنوب والمعاصي.

✓ قلنا إن ابن القيم بدأ الكتاب بمحور الكلام على أن كل داء له دواء.

✓ وأتكلم بعد كده عن الداء أول سلاحه أقوى سلاح في مواجهة أي

داء، وإن ممكن تحل مشكلتك بالدعاء، لكن مشكلتك في إنك مش

بتعرف تستعمل الدعاء أصلاً.

✓ وبعد كده انتقل بنا ابن القيم إلى مسألة ثانية وهي مسألة حسن الظن

بالله والرجاء اللي هو يساوي الغرور، ودي مشكلة كبيرة لو هي

عندك هتخليك جريء على المعاصي والحل أن تعرف ما هو حسن

الظن المحمود، وإزاي توازن بينه وبين الخوف.

✓ وبعد كده انتقل بنا ابن القيم إلى المرحلة الثالثة وهي بناء الوعي، أو

تقوية القوة العلمية عندك؛ لأن ابن القيم في آخر كلامه في باب

الرجاء قال إن مشكلة الإنسان في إن عنده إما مشكلة علمية أو مشكلة

عملية، إما مشكلة في العلم أو مشكلة في العزيمة.

يعني أيه مشكلة في العلم؟

مشكلة في العلم يعني ما عندوش علم بخطورة ما يصنع، بالضرر اللي

ممكن يحصل له من هذه الذنوب والمعاصي، وبالتالي ما عندوش بصيرة

في مراتب الخير ومراتب الشر، ممكن يقدم على شيء يستهين به وهو أضر شيء به، وممكن يتساهل في أمر وهو أنفع شيء له، وتساهله في فعل معصية أو في ترك طاعة سببه الجهل بخطورة المعصية وأهمية الطاعة مش عشان ما عندوش عزيمة هو ممكن يكون عنده عزيمة بس هو جاهل عاقبة الذنب ده.

✓ فانتقل بنا ابن القيم إلى محاولة تقوية القوى العلمية بفصل كبير أوي في مسألة أضرار الذنوب والمعاصي، بيحاول إنه يقوي عندك القوة العلمية وبعد كده هيحاول من خلال مناقشة معينة هنشوفها إنه يقوي عندك القوة العملية اللي هي قوة العجبية... ممكن تيجي معنا في آخر الفصل ده.

اتكلمنا مرتين في تقوية القوة العلمية في مواجه مسألة العلم بأضرار الذنوب والمعاصي، وابن القيم اعتبر أو عد الفصل ده هو أطول فصل تقريباً في الكتاب كله بالنسبة له لأنه مربوط الفرس لأن لو عندك العلم هيفضل لي معك العزيمة، لكن علمك بخطورة ما تصنع هو نص الطريق، فاستفاض جداً في الباب ده يمكن كتب فيه أكثر من 60 صفحة من الكتاب بيتكلم بس فصل في أضرار الذنوب والمعاصي عشان يوصل لك خطورة ما تصنع، بقى لنا مرتين ودى الثالثة ما خلصناش لسه الفصل ده لأن الفصل طويل بالفعل.

وقفنا عند قول ابن القيم رحمة الله عليه: **المعاصي تضعف سير القلب إلى الله.**

فهو بيقول إن الذنوب لا تدع الإنسان يخطو خطوة إلى الله سبحانه وتعالى، ده إذا عملت معه واجب بتخليه يقف مكانه. بيقول:

هذا إذا لم ترده أصلاً إلى المنازل التي فر منه، فقد يقطع السائر

وينكس الطالب، فالقلب إنما يسير إلى الله بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره، فإن زالت هذه القوة بالكلية انقطع عن الله انقطاعاً يصعب تداركه، فالذنوب إما يميت القلب، وإما يمرضه مرضاً مخوفاً، أو يضعف قوته وبالتالي يصل إلى الحالة التي أستاذ منها النبي عليه الصلاة والسلام وهي: 'اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من ضلع الدين وقهر الرجال'.

تساهلك في الذنوب بيوصلك لإحدى هذه المراحل السيئة.

- الهم والحزن: يصيبك ضعف القلب، لما القلب بيضعف يكون فريسة للهموم والأحزان {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [سورة المجادلة: 10] فمن أسلحة الشيطان الحزن على ما فات والخوف على ما هو آت.

أيه الفرق بين الحزن والخوف؟

الحزن يكون على الماضي، والخوف يكون عادة على أمر مستقبل خائف من المستقبل، لكن حزين على الماضي.

فلما القلب بيضعف بيزداد سلطان الشيطان عليه فيبالغ أوي عنده في الحزن ويبالغ في الخوف، فالحزن والخوف بيقهره بيثبطه، طبيعي الإنسان بيحزن، طبيعي بيخاف، لكن هناك حزن في الشرع لا يضر ربنا قال:

{مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ}

[سورة الحديد : 22 إلى 23]

الأسى هو المبالغة في الحزن التي تضعف الإنسان وتعجزه.

ولكن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع".

فهذا جبلة في الإنسان أن يحزن على ما فات لكن في درجة من الحزن ضارة وهي دي اللي الشيطان بيوصلك لها لما أنت تضعف فلما تبقى ضعيف يببالغ ينفخ في الحزن ده حتى يضخمه يتحول الحزن ده إلى أحباط. عشان كده النبي عليه الصلاة والسلام بعد الهم والحزن أستعاذ من العجز والكسل لأن الحزن لما بيتخن بيتحول إلى عجز أو كسل.

كذلك الخوف، الخوف ده دافع لما تخاف من حاجة "من خاف أدلج" الخوف الطبيعي الخوف الصحي يساعدني أشتغل، أما إذا صار خوف رهيب زاد عن الحد المعقول فإنه بيتحول إلى أحباط. في واحد بيخاف من الموت فبيشتغل، في واحد وصل به الخوف للموت إن هو مش عايز يعمل حاجة! ده خوف وده خوف.

فالشيطان بيستغل لحظة ضعفك ويضخم في الحزن ويضخم في الخوف لغاية ما يحول الحزن لحزن سلبي والخوف لخوف سلبي، لما يتحول الحزن لحزن سلبي والخوف يتحول لخوف سلبي هنا تنتقل إلي مرحلة اللي بعدها وهي العجز والكسل؛ العجز والكسل قرينان.

- العجز: إنك مش قادر فعلاً.

- والكسل: إنك قادر بس مش عايز.

الفرق ما بين العجز والكسل العجز إني مش قادر فعلاً وده قد يكون نتيجة للحزن بعض الناس يصاب بالمرض، واحد بسبب الخوف يصاب بالأمراض فيعجز حقيقة في بعض الناس يحصله مشكلة في أعصابه أرهاق وتوتر والكلام ده بيعجزه فعلاً يصيبه العجز، في واحد لا مش للدرجاتي موصلش بيه الهم والحزن إلي مرحلة العجز لكن أصابه الكسل اللي هو مافيش فايده بيبقي عنده قوة إنه ينفذ ولكن ما عندوش إرادة كل ده بسبب أيه

طيب؟! أنا أصلاً وصلت لكده ليه؟!

عشان كدا ابن القيم عايز يوصلك إن الهم والحزن اللي ترتب عليه العجز والكسل، واللي ترتب عليه الجبن والبخل ما أنا لما أعجز هيبقى جبان والجبن هو أنك تعطل منفعة البدن، والبخل تعطل منفعة المال، والحقيقة ده ناتج عن العجز والكسل فهى وراء بعض:-

- هم وحزن: يوصلك لعجز وكسل.
- والعجز والكسل: يوصلك للجبن والبخل.

أنا أصلاً إيه اللي وصلني لكده أصلاً؟!

ضعف القلب، لما ضعف القلب سهل الهجوم عليه، سهل الهجوم وأكبر هجمة شرسة دخلها الشيطان هو مش هيخش لك من مدخل صريح كده واضح! وأدخلك مدخل نفسي محض بيضخم عندك الأمور أوي. يعني مثلاً أنا ضعيف دلوقتي هيخلي الدنيا كبيرة أوي عندك فكل حاجة بتخسر ها في الدنيا بتسيبك حزن فقد ولد مال مفقود هو ربنا جبل الدنيا على كده.

{وَلَذَبُلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ} [سورة البقرة: 155]

كل دي يترتب عليها حزن، لكن المؤمن بيحزن في الحدود اللي ما بيتحولش للعجز والكسل.

طب أنا عملت ذنوب حصل أيه؟

فتحت أبواب للشيطان + أضعفت القلب. فدخل هجمة شرسة ضخمة في الحزن ضخمة في الخوف حولني لعجز وكسل جبن وبخل.

مين اللي عمل كده؟

أنت الذي أضعفته، أنت الذي قويت شيطانك وأضعفت قلبك لغاية ما بقيت فريسة سهلة إنه يلعب بك اللعبة دي.

ودي فكرة ابن القيم إن الذنوب بتضعفك في الآخر وتصيبك بالعجز، والعجز والكسل يضعف سيرك إلى الله، وبالتالي الذنوب تضعف سيرك إلى الله، ودي فائدة وخلاصة الكلام اللي قال عليه ابن القيم.

يقول بعد كده:

النبي عليه الصلاة والسلام كان يستعيز بالله من أربع قال: كان يستعيز بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

دي فرع عن الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وقهر الرجال وضلع الدين اللي أنت السبب فيه بذنوبك، فممكن أنت اللي تسبب لنفسك درك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء بسببها للي أنت عملته.

■ **قول السلف قال: أني لا عجب ممن يقول في دعائه اللهم لا تشمت**

بي الأعداء وهو يشمت بنفسه كل عدو، قالوا: كيف ذلك؟! قال:

يعصي الله تعالى فيلقى الله فيعاقبه فيشمت به كل عدو.

أنت بتقول لا تشمت بي الأعداء طب خد بالأسباب! ما حدش يشمت في أكبر شماتة تحصل من عدوك يوم القيامة لما يراك بتعاقب أمام الله سبحانه وتعالى، فأنت لما تعمل ذنب تلقى الله تعاقب شمت بك كل عدو، فضلاً عن المصايب اللي ممكن تصيبك في الدنيا بسبب الذنوب اللي هتشمت فيك برضو كل عدو.

بعد كده ابن القيم يقول:

الذنوب تذهب النعم وتجلب النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب وما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة.

وقد قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [سورة الشورى:

[30

وقال تعالى قاعدة: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ

حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة الأنفال: 53]

فطالما أنت لم تغير النعمة تستمر، أما أنت اللي بدأت كما قال تعالى:

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ

كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا

كَانُوا يَصْنَعُونَ} [سورة النحل: 112]

وفي مملكة سبأ {وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ

وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي

إِلَّا الْكَافِرَ (17)} [سورة سبأ: 16 إلى 17]

فالعبد هو اللي ببدا يغير وبعد كده تتغير النعمة، فإذا وجدت أن ربنا قد أنعم

عليك بنعمة ما ثم تغيرت مثلاً كان بيتك فيه سكينه فيه مشاكل دلوقتي، كان

الرزق طيب واسع وكل الدنيا ضاقت وباظت كل دي نعم كانت موجودة،

كان في أمن في حياتك دلوقتي بقت في توتر وقلق وخوف دائم، كان أولادك

بخير الدنيا كلها مهددة الآن كل دي نعم! كنت بتقوم الليل حرمت قيام الليل،

كنت بتطلب علم حرمت من طلب العلم.. كل دي نعم.

فإذا أتحرمت من نعمة أنت اللي بدأت وغيرت، أيه هو اللي أنت غيرته

عشان ربنا يغير معك؟ الإجابة دي عندك.

■ وفي بعض الآثار الألهية قال الله تبارك وتعالى: 'وعزتي وجلالي

لا يكون عبد من عبيدي على ما أحب ثم ينتقل عنه إلى ما أكره

إلا انتقلت له مما يحب إلى ما يكره، ولا يكون عبد من عبيدي

على ما أكره ثم ينتقل عنه إلى ما أحب إلا أنتقلت له مما يكره

إلى ما يحب'.

■ والشاعر يقول:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا... فَإِنَّ الذُّنُوبَ تُزِيلُ النِّعَمَ
وَحُطَّهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ... فَرُبُّ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمِ
وَإِيَّاكَ وَالظُّلْمَ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ... فَظُلْمُ الْعِبَادِ شَدِيدُ الْوَحْمِ
وَسَافِرُ بِقَلْبِكَ بَيْنَ الْوَرَى... لِتَبْصُرَ أَثَارَ مَنْ قَدْ ظَلَمَ
فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ بَعْدَهُمْ... شُهُودٌ عَلَيْهِمْ وَلَا تَنْتَهُمُ
وَمَا كَانَ شَيْءٌ عَلَيْهِمْ أَضَرَّ... مِنَ الظُّلْمِ وَهُوَ الَّذِي قَدْ قَصَمَ
فَكَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَانٍ وَمِنْ... قُصُورٍ وَأُخْرَى عَلَيْهِمْ أُطْمُ
صَلُّوا بِالْجَحِيمِ وَفَاتِ النِّعِيمِ... وَكَانَ الَّذِي نَالَهُمْ كَالْحُلْمِ
يعني مرت الدنيا كالحلم ولم يبق لهم إلا الجحيم وفات كل النعيم نعيم الدنيا
ونعيم الآخرة

يقول: ومن أثار الذنوب والمعاصي...-» فدي مهمة جداً خطيرة جداً.
يقول ابن القيم رحمة الله عليه:

من أثار الذنوب والمعاصي وحشة عظيمة في قلب العاصي، فيجد
المذنب نفسه مستوحشاً حاسس إنه دائماً فيه وحشة في قلبه، هذه الوحشة
بينه وبين ربه، وبينه وبين الخلق الصالحين وبينه وبين نفسه {لَمَقْتُ
اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ} [سورة غافر:

[10]

الله تعالى يبتلي العاصي أنه أحياناً يمقت نفسه، كلما ازداد يزداد الوحشة
بينه وبين نفسه وبين الصالحين وبين الله سبحانه وتعالى.
قال:

وكلما كثرت الذنوب أشتدت الوحشة، فلو فكر العاقل ووازن بين
المعصية ولذة المعصية كلها وبين تلك الوحشة بينه وبين الله لعلم سوء
حاله، وعظيم غبنه.

خد بالك ابن القيم في النص كده وهو شغال يقوى عندك العزيمة ودايمًا يكرر مسألة الموازنات لأن العزيمة لا تكون إلا إذا صلحت الموازين، لأن الإنسان دائماً يختار الأفضل بالنسبة له ويضحى بالأقل. فطول ما أنت بتختار المعصية يبقى في خلل عندك في الموازين، فكل مرة يدعمك علمياً بعد كده يرجع يتكلم تاني في خاصية العقل الأعظم وهي الموازنة بين معصية بلذتها + وحشة تجدها بينك وبين الله بينك وبين العباد الصالحين بينك وبين نفسك.

قارن مش ممكن عاقل يختار لذة المعصية الزائلة مع بقاء هذه الوحشة التي لا أضر عليه منها ولا أسوأ منها في قلب العاصي.

عشان كده العاصي مش بيحب يقعد لوحده كتير لأن كل الوحشة دي بتتهيج عليه كل ما يقعد لوحده وكل ما يصفو كده ويركز مع نفسه يجدها فعلاً هي موجودة، لكنه يهرب منها بالمزيد من المعاصي للأسف هي مسكنات المعاصي مجموعة من المسكنات بياخدها عشان ينسى بياخد معصية تؤلمه فياخذ معصية ألد عشان ينسى ألم المعصية الأولى، زي الخمر لما بينسي الكأس التاني ألم الكأس الأول، واللي بيشرّب مخدرات لما بيحس بألم المخدر بياخد جرعة ثانية جرعة أعلى وجرعة أعلى لأن الجرعة الأعلى بتنسي ألم الجرعة الأقل ولا يفيق المسكين إلا في عداد الأموات!

فكذلك العاصي يستمر في المسكنات ويظن أنه سعيد بيحاول يوهم نفسه أن الوحشة دي مش موجودة لكن لو صفا الذهن فعلاً وسلم العقل لوجد أنه في وحش جواه أسمه الوحشة سيفتك به عن قريب إذا لم يرتدع عن معصية الله سبحانه وتعالى.

لذلك ابن القيم في كتاب آخر في **'عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين'** كان يقول كلمته العظيمة اللي تكتب بماء الذهب، يقول: **أن في القلب شمس...** -القلب كده متفرط عايز مية حاجة عايز كل حاجة بيفكر في مليون حاجة

مشتت {وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [سورة الكهف: 28]

أن في القلب شعس لا يلمه إلا الإقبال على الله، وعليه وحشة دائماً القلب مستوحش لا يزيل تلك الوحشة إلا الأنس بالله في خلوة، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمر الله ورضا بنهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده المطلوب سبحانه وتعالى، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبة ودوام ذكره والإخلاص له ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً.

ولو أعطي الدنيا وما فيها يظل في قلبه فقر لا يسده من هذا الفقر، مش فقر دنيوي هو في الحقيقة {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ} [سورة فاطر: 15] فإذا ظل المسكين يظن أنه مفتقر إلى شيء من الدنيا يظل يسعى يسعى يسعى لو كان له واديان ذهب يتمنى التالت ثم يكتشف أن هذا كله لم يغني عنه شيئاً ويظل في فقر في القلب هو مش عارف يسده بآيه؟! جاب كل الدنيا وما بيتسدش لأنه لا يسد بمادة أصلاً، وإنما لا يسد إلا بالإقبال على الله، فهو المسكين عايش تايه لا يعرف حال قلبه ولا آيه العلاج فيظل يموت يوم وهو أفقر الناس وأساء الناس، هي دي الوحشة العظيمة اللي ابن القيم بيتكلم عليها في المعنى ده.

لذلك أسعد الناس هم أقرب الناس إلى الله.

فلما الله سبحانه وتعالى أراد أن يبين عقوبة قوم عاد قال: {أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ} [سورة هود: 60] بس مجرد إنه أبعدك بس أبعدك دي أعظم عقوبة، وإن ربنا يقربك هذه أشرف مزية وأحسن نعمة.

لذلك ربنا سبحانه وتعالى لما أراد أن يصف أفضل ناس عنده وصفهم أول وصف وأشرف وصف القرب قال: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ

الْمُقَرَّبُونَ (11)} [سورة الواقعة: 10 إلى 11] دى الأول، دى أعظم نعيم، بعد كده
{فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}... الآيات.

فلما أراد إنه يوصف كمال النعيم اللي هم فيهم ووصفهم بالقرب، فكلما كنت إلى الله أقرب كلما كنت زي ما بنقول كده بمعنى مصطلح الحديث عندك سلام نفسي ما تحسش كل حاجة سهلة كل حاجة بسيطة دنيا بسيطة مشاكل بسيطة ما فيش أزمة الموضوع طول ما أحنا مع الله سبحانه وتعالى كل حاجة بتعدي، في صبر في إحتساب، في أخرى في معاني كتير بتكون عندك حضورها في قلبك بسبب قربك من الله بيهون عليك كل حاجة.

■ **قال النبي عليه الصلاة والسلام:** "اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، من طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين -اللي هو القرب- ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا".

بعد كده ابن القيم يقول:

المعاصي تصرف القلب عن الاستقامة.

الحقيقة أن القلب الغير مستقيم في خطر شديد لأنه قلب غير سليم.
بعد كده ابن القيم بيقول جملة من الجمل العظيمة زي ما ابن القيم له جمل عظيمة تتبروز بيقول لك:

وقد أجمع السائرون إلى الله أن القلوب لا تعطى مناها.. -لن تستريح، لن تأنس، لن تفرح، لا تعطى مناها من السعادة والسرور والأنس والراحة - **لا تعطى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة، ولن تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها** فيصير هو دواؤها، ولا يصح ذلك إلا بمخالفة هواها، فهوها مرضها وشفاء ذلك في مخالفة الهوى، فإذا استحكم المرض قتل أو كاد.

يقول لي عمر ك ما هتوصل ألا أن تصل إلى الله، والله لن يقبل أنك تصل إليه إلا أن تكون قلبك سليم صحيح، ولن يكون القلب سليم صحيح لغاية ما يعالج الداء ويحوّله لدواء.

إيه الداء؟

الهوى.

إزاي أحوله لدواء؟

أجاهده، كل ما أجاهد الهوى أكثر كل ما يتحول الداء إلى دواء يتداوى القلب يسلم ويصح، لما يصح يقبل عند الله، لما يقبل ينال القلب ما يريد **{وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (41)}** [سورة

النازعات : 40 إلى 41]

فيقول ابن القيم رحمة الله عليه قوله تعالى: **{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13)}**

{وَأَنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)} [سورة الإنفطار: 13 إلى 14]

بيقول: بعض الناس يتخيل أن قوله سبحانه وتعالى: **{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ}** أن هذا الكلام يوم القيامة.

يقول: وهذا خطأ محض لأن النعيم المذكور هنا في الآيات ليس متعلقاً بيوم القيامة فقط وإنما هو من ثلاث حاجات متعلق بالدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة.

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} يعني في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة، بالدور الثلاثة.

{وَأَنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} ده متعلق بالدور الثلاثة برضو الدنيا والبرزخ ويوم القيامة.

يقول: فكل من أحب شيئاً غير الله عذب به ثلاث مرات في الدنيا وفي البرزخ ويوم القيامة.

يقول: فهو يعذب به في الدنيا قبل حصوله حتى يحصل.

يعني يفضل ربنا يعذبه بالشيء ده اللي هو اختاره على ربنا ما هو في فرق ما أنا ممكن أكون رجل صالح وعندي الدنيا مش مشكلة لكن أنا ما بعتش الصلاح من أجل الدنيا، ربنا يبسر لك الرزق ولا يجعله أكبر همك 'ولا تجعل الدنيا أكبر همنا' وبالتالي هو مش بيتعذب في تحصيلها لأن هي مش أكبر الهم أصلاً، فهي مش شاغلة مساحة كبيرة من قلبه، هو شغال عادي ربنا يبسر له رزقه ومش بيخليها أكبر همه فلا يعذب في تحصيلها، عذاب نفسي يعني.

وأما الثاني: لما جعل الدنيا أكبر الهم صار يعذب وهو بيحصلها من شدة الحرص والنهم والرغبة فيها صارت شاغلاه لدرجة إنه يعذب وهو بيحصلها

طب بعد ما يحصلها يقول: فإذا حصلها عذب بحفظها وأبتلي بالخوف من سلبها وفواتها.

يفضل طول عمره خايف يعني بعد ما أخذها أستريح؟! لا! يفضل طول عمره مشغول بها خايف البورصة تضرب، خايف فلوس تتسرق، خايف يخسر، خايف... يسيطر عليه خوف خوف فعلاً يضره خوف ينكد حياته ما فيش حد ما بيخافش على فلوسه بس في فرق زي ما قلنا درجات الخوف أن ربنا بينزل سكينة على قلوب المؤمن فيكون خوفه دائماً في الوضع الطبيعي أما اللي بعيد عن ربنا وسيطر عليه الشيطان فيتمكن منه الخوف والقلق والتوتر لدرجة أنه ينغص عليه الحياة.

فده الكلام اللي ابن القيم بيقوله فبيقول يحصل له خوف على السلب والفوات والتنغيص والتنكيد عليه، وأنواع أخرى من العذاب في هذه المعارضات.

يقول: فإذا ظلت يظل معذب بحفظها، فإذا سلبت أشد عليه العذاب.

يعني لو هي ما رحتش منه خالص يفضل في درجة من العذاب طول حياته

في القلق عليها ويموت وهو خائف عليها ده لو فضلت موجودة، لو سلبت منه يكون عذابه أشد وأشد لأن هو لا حصل الآخرة ولا دنيا.
يقولوا: في البرزخ فعذابه بألم الفراق بعد كل ده يأتي في البرزخ الفارق كل ده اللي هو أحب أكثر لله باع الدين علشانه فيتألم بالفراق في البرزخ وألم الفوات، ويتألم بفوات النعيم اللي هو كان متوقعه لو كان أختار الله سبحانه وتعالى وألم الحجاب عن الله وألم الحسرة التي تقطع الأكباد، فالهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفسه كعمل الديدان في جسده، زي ما الدود كده بياكل جسمه روحه بتاكلها الأحزان والهموم والغموم والألم. سبحان الله! ثم بعد ذلك إذا بُعث أنتقل إلى ما هو أدهى وأمر {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [سورة القمر: 46]

ابن القيم بيرجعك تاني عايزك تلاحظ في الداء والدواء كم مرة ابن القيم يعيدك إلى خاصية العقل؟ وهو بيقول دلوقتي فأين هذا؟ فكر بقى هو الدين هو بيقوي عندك العزيمة في كل مرة، أوعى تقول لي ابن القيم اتكلم جزء كبير في القوة العلمية، فين القوة العملية؟ هو بيديها لك في النص، كل شوية هو بيحاول يقوي عندك العزيمة بأن كل مرة بعد ما يحكي لك يروح مديك كلمتين كده يخلي عزيمتك تصحى.
يقول:

فأين هذا من نعيم من يرقص قلبه طرباً بربه وفرحاً وأنساً وإشتياقاً إليه وإرتياحاً بحبه وطمأنينة بذكره حتى سمعنا أحوالهم في مقالاتهم فيقول أحدهم إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه من السعادة والله لهم في عيش طيب.

■ ويقول آخر مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أجمل وأطعم ما فيها، قالوا: ما هو؟ قال: ذكر الله والأنس به.

■ ويقول الثالث: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من

السعادة لجالدونا عليها بالسيوف.

■ **ويقول الآخر:** إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

فيا من باع حظه الغالي بأبخس الثمن وغبن كل الغبن في هذا العقل وهو يرى أنه قد غبن إذا لم يكن لك خبرة بقيمة السلعة فسأل المقومين. وأنت ما بتفهمش أسأل أهل الله سبحانه وتعالى فيا عجباً من بضاعة معك الله مشتريها وثمرها جنة المأوى والسفير الذي جرى على يديه عقد التبائع وضمن الثمن عن المشتري هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بعثها أنت بغاية الهوان.

يقول ابن القيم:

والمعاصي تعمي بصيرة القلب.

■ **نقل بديع قال مالك للشافعي:** لما أجمع معه ورأى عليه أمارات النباهة ورأى عليه نور الطاعة والعلم، فقال مالك للشافعي وصية تكتب بماء الذهب قال: **إني أرى الله تعالى قد ألقى عليك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية.**

هذا الكلام يكتب بماء الذهب، كل طالب علم كل أخ شارك في الطريق إلى الله، كل حد فعلا ذاق حلاوة القرآن ورأى أثر ذلك في نفسه فعلاً لدرجة إن الناس يبشوفوها في وجهه فالناس يقولوا له: ما شاء الله عليك من ساعة ما إلتزمت ووشك منور! ما شاء الله عليك أنت شكلك نفسه أتغير! أول ما تسمع الكلام ده تذكر مقالة مالك للشافعي 'إني أرى الله قد ألقى عليك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية' فكون ربنا جعل في وجهك هذا النور هذه بشرى لأن ابن عباس يقول: **إن للحسنة نوراً في الوجه وضياءاً في القلب.**

وسبحان الله تجد شخص قبل إلتزامه غير بعد إلتزامه تحط الصورتين جنب بعض والله في نور رغم إن في لحية سوداء والدنيا ضلمت نظرياً لكن عملياً في حاجة غريبة! الشكل ده قبيح بغيض قافل منه وفعلأ فيه سواد أنت حاسه الصورة دي مختلفة تماماً في بهاء في بياض في نور في حاجة مختلفة.

شوف الصورة دي الناس قبل الإسلام وبعد الإسلام، قبل التوبة بعد التوبة ده شيء يجزم به كل حد إن فعلأ للحسنة نورأ في الوجه وضيأا في القلب، فلو ربنا أكرمك بمثل هذا النور فلا تطفئه أبداً ظلمة المعصية.

يقول بعد كده:

فإذا استمر العبد في المعصية لا يزال هذا النور يضعف ويضمحل، وظلام المعصية يقوى حتى يصير القلب في مثل الليل الأسود، ثم تقوى تلك الظلمة.

بص ابن القيم له لفظة جميلة بيقول: وتفيض من القلب إلى الجوارح فيغشى الوجه منها سواد بحسب قوتها وتزايدها ...

يعني بيقولوا ليه الظلمة اللي في الوجه دي؟! يقول: القلب أتملى وطفح لدرجة إن بقى السواد ده بدأ يطلع على الجوارح، بعد ما امتلأ القلب سواد بدأ السواد ده يظهر على الجوارح يظهر في الوجه. يقول:

فإذا كان عند الموت ظهرت في البرزخ فامتألت -طلعت بقى من الجوارح ملأت القبور- فامتألت قبورهم ظلمة.

■ لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم: "إن هذه القبور ممثلة على أهلها ظلمة وإن الله منورها بصلاتي عليهم"

يعني لما بيدعي لهم عليه الصلاة والسلام ربنا ينور القبور دي مع إن

أصحابها يستحقوا الظلمة سبحانه الله!
فإذا كان يوم المعاد وحشر العباد علت الوجوه علوا ظاهرا يراه كل أحد.

بعد كده يقول لنا ابن القيم:

من آثار الذنوب والمعاصي أن صاحبها دائماً في أسر وسجن.

العاصي دائماً في أسر وسجن وهذا مشهور عن ابن تيمية رحمة الله عليه أنه لما حبس في القلعة وأغلقوا عليه باب القلعة قال هذه الكلمة العظيمة الشهيرة قال: **المحبوس من حبسه هواه والمأسور من أسر قلبه عن الله، {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ}** [سورة المجادلة: 19] هو ده المأسور في الحقيقة، فإذا استحوذ الشيطان على عبد فهو أسير، أسير الهوى، أسير الشهوة، أسير الذنوب، أسير الشيطان.

وأما صاحب الطاعة فيشعر في أي مكان بعزة، يوسف عليه السلام كان جوة السجن بقى له تسع سنين مسجون المفروض تسع سنين يكسروا أي حد إلا من أراد الله له العزة، الذي جعل الله في قلبه العزة ما تتكسرش أبداً مهما مرت السنين يظل إنسان عزيز، يوسف عليه السلام بعد تسع سنين المفروض أي حد بينهار خلاص فلو حاله بارقة أمل أي أمل أن يطلع من السجن أكيد يتشبث بها، فيأتي بعد تسع سنوات يجي له عرض مغري أن الملك عايز يقابلك... ملك يقول لك اطلع عايز اقابلك **{وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ}** [سورة يوسف: 50] حاجة عجيبة! مش عايز يطلع أصلاً أنا مش هطلع من هنا إلا بشروطي، أنا مش هطلع من هنا إلا برئ، أنا مش فارق معايا خلاص.

تقول لي طب ليه يوسف عليه السلام قال: **{ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ}** السجن في الأول غير في الآخر.

اللي ما جربش السجن أكيد التجربة في البداية بتبقى صعبة فالإنسان يعتقد إن السجن فعلاً هيكون أسر حقيقي، يوسف عليه السلام في البداية أكيد الموضوع كان صعب أكيد، وكان يشعر بشيء من الأسر في البداية وأي حد يتمنى الحرية، لكن مع الوقت ومع إلف السجن المادي ومع الاستمرار في العبودية والطاعة. تتباين الحقائق للإنسان أن السجن ليس هو السجن المادي أصلاً، وأن حياة الإنسان أن تكون جميلة ولو كان في السجن، ومسألة السعادة ليست مسألة مرتبطة بالسجن أو خارج سجن وإنما المسألة في القلب.

لذلك من عجائب أن يوسف عليه السلام كان يدعو إلى الله وهو في السجن، لو واحد حصلت له مصيبة من دول ما يصليش أصلاً!

العجيب إن هو يحبب الناس في ربنا في السجن، يقول لهم: **{وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا}** ده واحد في السجن! لو واحد دخل السجن وهو رجل صالح يقول لك: ربنا عمل فيا كده ليه؟ هو الحق علينا بقى طب والله ما نصلي!! بيعاقب ربنا بقى فاهم ازاى؟! يعني الواحد لما كان في الشمال كانت الدنيا ماشية معه يوم ما بقى يصلي الدنيا باظت وكل لجنة توقفني وكل واحد يقول لي بطاقتك واتاخذ التحري كل يومين... طب أهو أحلق بقى ومش مصليها!

ده في السجن هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم، لم يعاتب الله قط، بل حتى لم يسكت خلاص تساوى الطرفين بل قاعد يحبب الناس في ربنا، وبيقول لهم ده ربنا ده جميل قوي و ربنا أنعم علي بنعم عظيمة جداً **{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ}** أحنا المفروض نشكر ربنا أكثر من كده.... ده في السجن!! آمال في الملك كان بيعمل أية؟!

فالشكر هي حالة دائمة عنده، بعد ما طلع من السجن قال: **{وَقَدْ أَحْسَنَ بِي}**

إِذْ أَخْرَجْنِي مِنَ السِّجْنِ { طب ما هو اللي دخلك برضو. بس لا! أنا
ماقولتش إن ربنا دخلني! أه هو اللي دخلني بس مش من الأدب إني أقول إن
هو دخلني، لكن أقول هو خرجني عشان أنسب له الكمالات، فالأمور التي
ظاها شر أنا ما نسيبهاش له من باب الأدب.
الأمور العجيبة إن فعلاً الإنسان يصل لمرحلة من الأنس بالله إن ما بقتش
خلاص الحواجز دي هي دي اللي بتحسسه بالأسر وبيعرف حقيقة الأسر،
الأسر هو أثر الذنوب والمعاصي فكم من مسجون وهو في عزة وأنس الله
عجيب، وكم من شخص حر صاحب قصور وأملاك هو فعلاً ذليل إنسان
ذليل تبدو في أعينهم أمارات الذل والله أفقر ناس وأذل ناس هم هؤلاء؛
وأعز ناس أهل الطاعة حتى لو كان حالهم مادياً بسيط، العاصي يكون دائماً
في أسر وسجن.

بعد كده بيقول لنا:

المعاصي تجلب أسوأ الأسماء..

يعني الحاجات اللي بتخلي الإنسان يختار دائماً الطاعة، قارن كده بين
الطاعة وبين المعصية والألقاب اللي تحوزها هنا والألقاب التي تحوزها
هنا، عشان تعرف عز الطاعة وذل للمعصية.
مجرد ما الواحد بدأ في طريق الطاعة بس وتلاقي ربنا أكرمه بألقاب شريفة
جداً صار له وجاهة بها فعلاً، هو مش عايزها مش هدفه لكن دي من بركة
الطاعة صار يقال عنه الأخ والقارئ والشيخ ومولانا وفضيلتك حاجات
كبيرة أوي! ليه كل ده يا جماعة؟! ربنا اللي أراد لك الوجاهة دي بين
الناس، دي من عز الطاعة أن يكون لك مكانة ووقار ومهابة أنت
ماتستاهلهاش أنت عارف إن كلامه مولانا ولا شيخنا ولا الجو ده أنت مش
هنا خالص ده أنا بصلي بالعافية بس مجرد ما بدأ عليك بس

نور الطاعة ربنا أكرمك بالألقاب الجميلة دي.
طبعاً تفكر نفسك في الألقاب بتاعة زمان تقول سبحان الله! لو عرفوا زمان
كان بيتقال لى أيه ما كانش حد أصلاً بص في وشي! كل الألقاب مش تمام
الديلر بقى والدنيا كانت بايطة معك زمان وكنت أنت المعروف فى الشلة
بالشمال الشمال اللي بيحبهم لهم الشمال. فسبحان الله!
تغيرت الألقاب كلها خلاص، حتى أصحابك القدام هو لو كانوا معك في أي
مكان أنت مين ولا أنت نسيت نفسك ده أنت كنت وكنت وكنت... فأنت
تقول ولد ما تقولش لحد خالص اللي بيني وبينك الكلام ده ما حدش يعرف
الألقاب دي خالص أنا هنا لي وضع هنا في المنطقة دي بقى أوعى مش
هجيبيهم هنا تاني أنا هاجي لك بعد كده ما حدش يجي لي يزورني في
منطقتي تعالوا نخش المسجد ممكن تلاقي واحدة من بتوع زمان اتفضحت
في المسجد كله، أيه يا جماعة الموضوع؟! استروا عليا الناس هنا يا مولانا
وشيخنا... سبحان الله!

أنت نفسك استعريت من لقب اللي هو أصحابك يقولوا له عليك مش حتى
طالع عليك على سبيل الذنب ده صعب بيهزر معاك مش أنت بقيت تستحي
من الأسم ده دلوقتي **{بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ}** [سورة الحجرات: 11]
ما بعد ما يتقال شيخنا ومولانا ومتفخم أنا رايح جاي وكده راح واحد
نازعني واحدة من بتوع زمان يدمرني!

فأنت بتحس فعلاً بعد الفرق ده إحساسك بالفرق ده فعلاً الطاعة لها جمالها
ولها عاقبتها الحسنة، أه الألقاب دي مش هدفك بس ده ربنا أكرمك به وأنت
دلوقتي مش عايز تسمع الألقاب السيئة بتاعة زمان دي.
المعصية ذل بتكسي صاحبها أسوأ الألقاب، ويتقال عليه بقى كذا وكذا وكذا
وكذا فشيء يعني أنسان لو عاقل يأنف من هذه الألقاب! بس لأنه في مستنقع
نتن ما بيحسش بالرائحة النتنة إلا لما يطلع منها، هتلاقي نفسك طب ما أنا

كنت زمان بفرح بالألقاب دي لأن ده كان نتانة جوة نتانة فكان التنافس على
النتانة كل اللي حواليا أسمهم كده فلما أنا أخذ واحد من الألقاب دي بحس إن
أنا عادى، بنطلع بره كده هتلاقي أيه النتانة اللي أنتم كنتم عايشين فيها دي!
كان الإنسان أعمى، لكن لما يجرب جمال ثمرة الطاعة حتى في الألقاب
بتاعتها بقى يأنف قوي من الألقاب حتى بتاعة زمان العرة دي {وَمَنْ يُهِنِ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ} [سورة الحج: 18]

■ **لذلك كان أحدهم يقول في السجود:** اللهم أعزنى بطاعتك ولا
تذلني بمعصيتك.

يقول:

المعاصي تؤدي إلى نقصان العقل.

علشان كده ربنا وصف أهل الطريق أنهم دائماً أولي الألباب، يعني أصحاب
العقول السليمة.

تعالى بقى نقرأ كلام ابن القيم هو تاني أفكر تاني كل مرة أقولك إن ابن
القيم هو يبث في الداء والدواء كده شوية حاجات بيقوي بيها العزيمة ودائماً
تركيزه في تمارين تقوية العزيمة هي تمارين تقوية العقل في حسن الاختيار
بعد ما أنا بديك البصيرة شوفت كويس، كل شوية يقول لك شايف فيقول لك
الضرر أهو شفته؟! تعال ينفع أنت فاهم هو ماشي معاك إزاي؟
يقوي العلم بعد كده يديك حطة عزيمة، تحس إن هو ماشي طلعت أنت بالعلم
والعمل يعني القوة العلمية والقوة العملية.

فابن القيم يمشي معاك يمشي معاك ماشي معاك وبعد كده يقولك شوفت بقى
شوفت؟! طب ينفع نختر ينفع الكلام ده؟! تقوله لا والله ما ينفعش يجدد
عندك العزيمة.

فهنا ابن القيم بقى هيرصد كلام عجيب بقى دلوقتي بيقول إن العاصي ده مش عاقل تعالى نفكر مع بعض المعصية ما يعملش معصية إلا واحد فعلاً عنده وهن في عقله عنده ضعف في العقل، ما هو العقل يا جماعة مش هو الذكاء مش هو الحسابات؛ العقل سمي عقل من العقلة يعني الحاجة اللي تتربط "**اعقلها وتوكل**" اعقلها يعني أربطها، فالحاجة اللي تربطك أسمها عقل.

فالعقل هو الذي يمنعك مما يضرك ويدفعك إلى ما ينفعك، فإذا العقل الخاصة دي ما اشتغلتش كويس يبقى العقل ضعيف حتى لو ذكي، عشان كده ربنا وصف الكفار مع كل اللي هم فيه إن هم لا يعقلون، وهم أنفسهم بيقولوا كده يوم القيامة **{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}** [سورة الملك: 10] هو في عاقل كان يدخل نفسه هنا؟! مش عاقل أكيد، فالعاقل اللي هو بيحيي يربطك فكل ما كل ما بتتربط أنت تلاقي نفسك تعمل حاجة غلط تلاقي نفسك بتلم كويس يبقى أنت عاقل، حاجة حلوة دينيا كويسة بتروح لها بسهولة يبقى أنت عاقل كل ما تضعف عندك الحجة دي كل ما يدل إن عقلك أضعف.

ابن القيم يقول:

كيف يكون عاقلاً وافر العقل من يعصي الله؟ من هو في قبضته وفي داره ويعلم أنه يراه ويشاهده فيعصيه وهو بعينه غير متوار عنه، ويستعين بنعمة الله على معصية الله، ويستدعي في كل وقت غضبه عليه ولعنه له وإبعاده من قربيه، وطرده عن بابه، وإعراضه عنه، وخذلانه له، والتخلية بينه وبين نفسه وعدوه، وسقوطه من عينه وحرمانه روح رضاه وحبه وقرة العين بقربه، والفوز بجواره والنظر إلى وجهه، إلى أضعاف أضعاف ذلك من كرامة أهل الطاعة؛

وأضعاف أضعاف ذلك من عقوبة أهل المعصية، فأى عقل لمن أثر لذة ساعة أو يوم أو دهر ثم تنقضي كما حلم لم يكن على هذا النعيم المقيم والفوز العظيم بل هو سعادة الدنيا والآخرة، ولولا العقل الذي تقوم عليه الحجة لكنا نعهده من المجانين الغير مكلفين!

لولا إن ده فعلاً ثبت بالدليل أن مثل هذا تقوم عليه الحجة وأن عقله كافي أنه يتحاسب كنا قلنا ده مجنون رسمي! كونك بعد ما أثبتنا لك عقل إنك اخترت المعصية رغم كل اللي أتقال ده!

يقول:

فيا عجباً! لو صحت العقول لعلمت أن طريق تحصيل اللذة والفرحة والسرور طيب العيش إنما هو في رضاء من النعيم كله في رضاء والالام والعذاب كله في سخط الله وفي غضبه وفي غضبه. فقاعد هو يطلع عندك الطاقة والعزيمة.

بعد كده يقول في فصل: المعاصي تحقق البركة في كل شيء.

قال: تحقق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة -حتى الطاعة تتضار بالمعصية- وبالجملة فإن المعاصي تحقق بركة الدنيا والآخرة، فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله تعالى وما محقت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [سورة الأعراف: 96]، وقال تعالى: {وَأَن لَّوِ اسْتَظَّامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا (16) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} [سورة الجن: 16 إلى 17]

فالبركة تحقق.

■ وفي بعض الآثار الإلهية أن الله قال: 'إذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية، وإذا غضبت لعنت ولعنتي تدرك السابع من الولد'.

بعد كده ابن القيم يقول كلمة عظيمة قوي يقول:
وليست سعة الرزق والعمل بكثرتة، ولا طول العمر بكثرة الشهور
والأعوام، ولكن سعة الرزق والعمر بالبركة فيه.

كلمة عظيمة جداً! فكم رأينا من أهل علم أنجزوا إنجازات مهولة في أعوام
يسيرة على رأس هؤلاء سعد بن معاذ إسلامه كله ست سنوات، في الست
سنوات الدنيا اتقلبت غير العالم كله، سعد بن معاذ هو لما أسلم أسلمت
المدينة، سعد بن معاذ صاحب الضربة الأنصارية في بدر ولولا ابن معاذ
ما دخل الأنصار في غزوة بدر كانت الدنيا هتختلف تماماً.

غزوة بدر يوم الفرقان، سعد بن معاذ هو اللي قلب الموازين المعركة لما
جمع الأنصار وقال مقولته الشهيرة للنبي عليه الصلاة والسلام ودخل فعلاً
في غزوة بدر ومنهم الأنصار ما كانوش ملزمين بغزوة بدر، سعد بن معاذ
هو اللي حكم في بني قريظة وقتلت مقاتلات بني قريظة، سعد بن معاذ
كوكب تاني.. كل ده في ست سنين، ست سنين أسلمت المدينة.

أنت لو عندك في ميزان حسناتك التلات حاجات دول بس أنت عايز إيه
تاني؟! كل أهل المدينة بقي ما هو إسلام أهل المدينة هياخد بقي كل الأجيال
اللي بعديها في ميزان حسناتك، بدر في ميزان حسناتك، بني قريظة في
ميزان حسناتك.. أنت عايز إيه تاني؟! في ست سنين يبقى معك أهل المدينة
وبدر وبني قريظه! يبقى المسألة مش عمر مش عدد، أنت ممكن تعيش
سبعين سنة ما تعرفش تحصل عشر معشار اللي عمله سعد بن معاذ! هي
مسألة بركة ربنا بارك في الست سنين دول، الست سنين دول عمل فيهم
أعمال دي عينة بس وإلا سعد بن معاذ عاش قصص كتير قوي قلب الحياة
فعلاً عشان كده ده مثل هذا اهتز لموت عرش الرحمن فرحاً بمقدم هذه
الروح العظيمة الشريفة سبحانه الله!

فالمسألة مش بالأعوام، يعني عندك الإمام في سن أقل من خمسين عام

أصغر من خمسين سنة يعني أنا أعتقد في سبعة وأربعين سنة أو حاجة كده
أو ثمانية وأربعين الإمام النووي صاحب المصنفات التي لا نهاية لها ما
تعرفش تقرأها كلها في حياتك كلها قعدت تقرأها. آمال هو ألفها متى؟!
ابن تيمية وكل كل الأكابر هتلاقي أنجازاتهم كانت في ضيق في وقت
صعب لكنها البركة البركة.
فالفكرة إن ربنا يبارك لك في أي عمل، يبارك في عمرك وبارك في وقتك
يبارك في علمك هو ده الفيصل.

يقول:

**المعصية سبب لمحق البركة؛ لأنك لو عصيت فقد جعلت الشيطان
يتولى أمرك وجعلت له سلطان عليك وكل شيء يتصل به الشيطان
فبركته محوقة.**

ولذلك شرع ذكر اسم الله تعالى عند الأكل والشرب واللبس والركوب
والجماع لما في مقاربة اسم الله من البركة وطرد الشيطان، فإن الرب هو
الذي يبارك وحده، والبركة كلها منه، وكل ما نسب إليه مبارك، فكلامه
مبارك، ورسوله مبارك، وعبدته المؤمن مبارك، وبيته مبارك، وكنائته من
الشام أرض مباركة وهكذا.

و ضد البركة اللعنة، فأرض لعنها الله، وشخص لعنه الله، وعمل لعنه الله
أبعد شيء من الخير والبركة، وكل ما أتصل بذلك وأرتبط به وكان منه
بسبيل فلا بركة فيه البتة، ومعلوم أن الله قد لعن أبلis وجعله أبعد الخلق
منه، فكل ما كان من جهته متصلاً به فله نصيب من اللعنة بقدر القرب
والاتصال.

تمر جحك إزاي تعالى كده عشان نوصلك أنت تقرب من شيطان ده واحد
ملعون أقوى لعنة نزلت في التاريخ عليه الكل يقرب منه لازم يتلظ! كل

اللى هيقرب من هنا لازم بياخد نصيب هو ده ملعون كل ما تقرب منه نصيب من اللعنة التي نزلت فيه.
على قدر القرب والاتصال، فمن هاهنا كان للمعاصي أعظم تأثير في محق بركة العمر والرزق والعلم والعمل. سبحان الله!

ابن القيم هنا في حاجات أحنا قلناها ممكن نقفز إلى أن **'المعاصي تضعف البصيرة'** فصل كده متقدم المعاصي تضعف البصيرة وده هنقله آخر فصل معنا لأن الباقي تقريباً كلام ممكن قلنا معناه إجمالاً قبل كده لكن الفصل ده حلو عشان ده هيقوي ثاني عندنا العزيمة.

يقول لي:

المعاصي تضعف البصيرة، من عقوبة المعاصي أنها تعمي القلب فإن لم تعمي أضعفت البصيرة....-الدنيا مشوشة- **ولابد، وقد تقدم** -وقال أنا قلت الكلام ده قبل كده بس هو عايز يزودك حطة-

بيقول: **مدار الكمال الإنساني على أصلين...**

ثاني ابن القيم بيركز في الحطة دي قوي لأنه يرى أن هذا هو مربط الفرس شوف كويس وأختار بس هي الحياة كده عشان أختار لازم اشوف فأنا بديك بصيرة وبحاول أقوي عندك العزيمة بس هي دي خلاصة أي معصية وخلاصة أي طاعة شايف الفضل والأجر فعلاً كويس وعندك عزيمة أنك تختار أنك تفعل، شايف الضرر والبؤس اللي في المعصية وعندك عزيمة أنك تمتنع.

فابن القيم أحنا ملاحظين إنه بيركز على القصة دي كتير وده يدل على عناية ابن القيم بالمحور ده، وده يدل على إن المحور ده هو الأساس وهو أن هنا ما بيتكلمش في الشهوة هو بيتكلم في أول الكتاب كل المعاصي

مدارها على الكلام ده.

بيقول: **مدار الكمال الإنساني على أصلين: معرفة الحق من الباطل -**

اللي هي تاني القوة العلمية اللي هي البصيرة-، وإيثاره عليه.

وإيثار الحق على الباطل اللي هي القوة العملية اللي هي العزيمة، إيثار أن

أنت تعرف الحق من الباطل ده لا يكفي زي ما قلنا قبل كده واحد تقول له:

يا عم السجائر حرام، يقول لك: ما أنا عارف، هو كده عنده القوة العلمية.

يا عم السجائر بتضرك! عارف.

يا عم السجائر بتعمل وتسوي فيك! ما أنا عارف.

ما أنا عارف إنك عارف بس أنا بحاول اذكرك علشان أقوي عندك العزيمة

مش عشان أقول لك معلومة، فما ينفعش الرد يكون أنا عارف، ما ينفعش

يقول لك السجائر دي حرام تقول له ما أنا عارف.

طب ما أنا ماشي أيه اللي بعد كده؟ ماذا فعلت؟ هنا ما بقتش ما فيش كمال

إنسان أن أنت دلوقتي عندك معرفة الحق من الوضع عارف اللي بتعمله

غلط يقول لك أنا عارف إن أنا بعمل غلط. فكان ماذا؟ اين إيثار الحق على

الباطل؟ هو ده الفيصل أصلاً وإلا فالكفار كانوا يعلمون أن الإسلام حق فما

نفعهم ذلك!

طالما ما اخترتش يبقى أنت معملتش حاجة، إيثار ذلك، لكن المشكلة بقي إن

كمان أنت في تشويش في البصيرة نفسها أنت لا ترى أصلاً الحق حق،

لذلك 'اللهم أرنا الحق حقاً وأرزقنا تباعه' هي دي القوة العلمية والقوة

العملية 'وأرنا الباطل باطلاً وأرزقنا اجتنابه' قوة علمية وقوة عملية.

فالفكرة إن ممكن التشويش يوصل ما شوفش الحق إن الهوي يخليني أصدق

فتاوى معينة بتزين الباطل في هوي.

فيقول لك: الموسيقى مفیهاش مشكلة في شيخ قال مفیهاش مشكلة، والربا

بتاع البنوك مافيهوش مشكلة، دار الإفتاء قالت مافيهوش مشكلة ماشي!

والقروض مفيهاش مشكلة! وعيد الحب مافيهوش مشكلة! ومولد النبي مافيهوش مشكلة! والمدد مافيهوش مشكلة! وزيارة القبور مفيهاش مشكلة... لو مش عايزين يقولوا لي أمشي ما يعني أنتم بتعملوا معايا كده ليه؟ هو كل حاجة بنقولها لازم تقول عكسها وخلاص! يعني هو في عند أنك تقول عكس اللي أحنا بنقله وخلاص.

المشكلة صاحب الهوى اللي هو عنده ضعف في البصيرة بيصدق الكلام ده لأن في هوي أصلاً هوي للمواضيع دي أي حد بيقوله الحاجة دي حلال الله ده الشيخ ده جامد جداً هو ده اللي أيه ده اللي أنا ده ده الشيخ.

متى بتسأل دار الإفتاء في أي حاجة؟ وأنت أمتى الناس دي كانت المرة الجاية لك.. يا لهوي الناس دي علماء دلوقتي بقوا علماء! ولما يجي بقى في مشكلة بجد يدور على أطول دقن في الشارع شيخنا وحبينا عايز أسألك سؤال، مسألة هو مزنوق بقى يعني مثلاً في الحج حصل له مشكلة ودافع فدافع له 100 ألف ولا 200 ألف ففيه عمل حاجة خايف تفسد الحج هيدور على أطول دقن في الحج، أنسى بقى شيوخ مشي حالك دول على ما سألهمش ده أنا دافع 200 ألف عايز حد يلحقني دلوقتي.

لكن في الموسيقى عادي نروح هنا ده دول حلوين دول بيقولوا لنا اللي يريحنا، في زيارة القبور نسأل دول، في عيد الحب نسأل دول فيهم دول يريحونا في الحاجات الحلوة دي، لكن أنا دلوقتي في الحج ودافع 200 ألف مش عايز واحد يشتري فتوى يبوظ الحج! لازم لحية كبيرة جداً لازم لابس أبيض ولازم كده شيخ حلو، شيخنا عملت كذا أي حاجة بيقولها يقول له آمين على طول ومش هسأل حد وراءه هو هنا صادق مع نفسه، هو فعلاً عايز الحق لأن ما فيش هزار هنا أنا دافع يعني ما ينفعش، بعد ما أروح حد يقول لي هي حجتك بطلت! لازم أسأل الشيخ الجامد قوى الجمدان، هنا هنا بقى منصف مع نفسه هو ده شيخك فعلاً، هو ده اللي أنت بتثق فيه، هو ده

اللي أنت بتصدقه أنت ليه هنا في ضعف في البصيرة في تشويش في هوي
بيحكم. فاهم إزاي؟

فده ناتج عن المعصية لما أنت أصلاً تسمع موسيقى كثير بقيت ضعيف
بقيت الهوي بيحرك إن أنت عايز تصدق، اللي بيقول لك إن الموسيقى
حلال عشان في عيد حب وأنت ماشي مع واحدة وعايز تجيب لها الدبدوب
بتدور على أي حد يحلل لك الدبدوب عشان أنا دفعت ثمنه خلاص أنا ما
تجيش تقولي حرام دلوقتي ارجعه إزاي؟ والناس دي كويسة جبت تمنه!
فالمعاصي بتضعف البصيرة تخليك ترى الحق باطل وترى الباطل حق، أو
أنت عايز تشوفه كده، هو ده اللي ابن القيم بيتكلم أن أنت يا إما أعمى أو
بقيت ضعيف البصيرة، وده سبب تسلط الذنوب عليك، لو أنت نضيف من
الذنوب ما كنتش هتبقى ضعيف في اختيارك كده، وكنت فعلاً هتطلب
الحق لأن ده الحق مش لأن أنا عايز كده، وتسأل عن الباطل وتعرف هو
باطل حتى لو أنت استهواه لأنك أنت فعلاً راغب في معرفة الحق والبصيرة
عندك شغالة كويس.

يقول: **معرفة الحق وإيثار الحق.**

يقول الناس تتفاوت في الحجة دي، تتفاوت في الأتنين، تتفاوت في قوة
البصيرة، وتتفاوت في قوة الإيثار، لذلك ربنا سبحانه وتعالى بين أعلى ناس
عنده قال: **{وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي**

وَالْأَبْصَارِ} [سورة ص: 45]

الأيدي اللي هو القوة العملية اللي هي العزيمة، والأبصار التي هي القوة
العلمية.

{أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} هم دول بقي **{إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ}** طلّعوا نضيف
دول مفيش حاجة عليهم دول أحنا اصطفيناهم لأن هم صاروا في أعلى
القوتين صاروا في القمة في القوتين دول.

عشان كده هو بيقول الناس تتفاوت حسب القوتين دول قوة الأيدي والأبصار.

أفكر دايما الأيدي والأبصار وأحنا بنتنافس في الحثة دي، الأبصار اللي هو طالب العلم أنك تتعلم، تتعلم العلم كله وخاصة مراتب الأعمال، وفضائل الأعمال والكلام ده عشان يبقى عندك بصيرة، تعلم الغلط والبدع والكبائر والمعاصي عشان يبقى عندك بصيرة، ثم التنافس الأخطر على الأيدي مين هينفذ في الآخر؟ من هيوثر الطاعة؟ من هيتترك المعصية؟

مدار المنافسة ومدار البشرية كلها على القوتين دول، لذلك ربنا وصف أعلى ناس عنده هم أولي الأيدي والأبصار دول جامدين جداً في الحثة دي فدول كانوا أعلى ناس عندي.

عشان كده ربنا بيّن أن الأئمة الكبار أوي اللي ربنا يصطفاهم على مدار الزمان لهم وصفين **{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا^ط وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}** [سورة السجدة: 24]

لما عملوا حاجتين نجحوا في العلم والعمل، الأئمة **{لَمَّا صَبَرُوا}** اللي هي القوى العملية.

{وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} مش عندهم علم ده عندهم يقين فدى منزلة عالية من العلم، فالعلم لما يبقى علم عالي بيتحول ليقين، فدول فجمعوا بين القوة العلمية والعملية العلمية المعبر عنها باليقين والعملية المعبر عنها بالصبر، فلما كانوا عالين في الحثتين دول جعلهم أئمة.

عايز تبقى أمام للمتقي عايز تبقى حاجة كبيرة في الدين المسألة مش إنك أنت بتبحث عن شهرة وتبحث عن أنك أنت تعرف وتبحث عن أنك الأول تبحث عن عمل أترك أثر كبير والكلام ده...

- الأول أعرف الموضوع بيحي منين ربنا لن يجعلك إمام ألا أنك تتميز في القوة العلمية والقوة العملية، الأول أنت تتعلم وتعمل في نفسك

الأول ربنا يرى منك أعمال مع نفسك الأول قبل ما تطلب أثر في الناس، أنت أتعلم وبعد كده أنت صلي الفجر صلي قيام ليل احفظ قرآن راجع أورد أذكار محاسبة نفس زيارة قبور أعمال في السر صدقة في الخفاء صيام نهار أنت الأول أنت فين؟

- بعد كده تطلب الأعمال المؤثرة والأعمال التي تبقي لك أثر بين الناس تلاقيها سلكت تلاقيها تيسرت تلاقي ربنا جعلك إمام فعلاً بس أنت نجحت بالفعل في العلم وفي الصبر وفي اليقين.

■ **لذلك قال الإمام ابن تيمية تعليق على هذه الآية: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.**

يقول: الناس ينقسمون إلى أربعة أقسام:-

1. أعلاهم من كملوا في العلم والعمل فهؤلاء أشرف الخلق وأكرمهم على الله.

2. القسم الثاني لا بصيرة ولا قوة دول أسفل الناس لا بصيرة ولا قوة، ورجل لم يؤته الله مالاً ولا علماً. ده بقى في الأسفل الخالص، وهم أكثر الخلق هم الذين رؤيتهم قذى العيون، وحمى الأرواح، وسقم القلوب يضيّقون الديار، ويغلون الأسعار، ولا يستفيدوا بصحبتهن إلا بالعار والشرار.

3. القسم الثالث له بصيرة ومعرفة بالحق والباطل لكنه ضعيف لا قوة له على التنفيذ ولا دعوه إليه وهذا حال المؤمن الضعيف والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن ضعيف.

4. القسم الرابع له قوة وعزيمة من أهل الاجتهاد و ما عنده علم فلا يكاد يميز بين السنة والبدعة، تلاقي فيه بعض المتصوفة مثلاً

مجتهد جداً بس قاعد شوية سنه شوية بدعة شوية يبقى موالياً لأولياء
الله شوية يوالي أولياء الشيطان مش عارف!

لا يميز بين أهل السنة وأهل البدعة، لا يميز بين أهل الحق وأهل الباطل،
لا يميز بين الإسلام الحق والليبرالية عايز يتخبط بس هو عنده عزيمة نفسه
يخدم الدين بس سبب ضعفه العلمي يخطئ كثير جداً وده للأسف في بعض
الدعاة المعاصرين للأسف ناس فعلاً تشهد لهم بكل خير وكل فضل وهمة
الشباب بيتخبط عشان ضعفه العلمي يخليه مرة ينشر بدعة هو مش واخذ
باله مرة حد يحضر له حاجة يقولها هو ما عندوش علم يميز به. فأحياناً
يسيء فيعاتب على الأمر ده.

لذلك ننكر على البعض الدعاء كذا وكذا وكذا مع ثناءنا عليه في نفس الوقت
نقول والله هو رجل فاضل ونشهد له بالخير، بيتخبط محتاج قوة علمية أكبر
شوية.

يقول:

وكل هؤلاء لا يصلحون للإمامة في الدين إلا الصنف الأول لأنهم
جمعوا العلم والعمل، وأقسم الله تعالى في سورة العصر {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي
خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} القوة العلمية.

{وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} القوة العملية.

{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} الدعوة.

{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} ثبتوا على ذلك.

فكل من أجمعت فيه هذه الصفات قد وصل لله سبحانه وتعالى من أوسع
الأبواب.

فالمهم ابن القيم سرد الفصل العظيم ده في خطورة الذنوب والمعاصي،
وتقريباً يعني هنختم الفصل ده وممكن نبدأ المرة القادمة في محور ثاني

أنتقل لابن القيم رحمة الله عليه.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك فيكم وأن يرضى عنكم وأن يحفظنا وإياكم من شر الذنوب والمعاصي، إن شاء الله نلتقي في لقاء قادم، جزاكم الله خيراً.
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

دعائكم الدائم لنا وأهلنا بالخير.